

الفصل الثامن عشر

الفن

الفن ، لغة ، النوع أو الحال أو الضرب من الشيء . والجمع أفنان وفنون
وافتنان الكلام اشتقاقه في فن بعد فن والمفتن والمتفن وذو الفنون والمفن « بكسر
ففتح » الذي يأتي بالعجائب وبضروب فن الكلام والفنان « بالتشديد » الحمار
الوحشى وأطلقها علي الرجل المفن ، رجل الفن ، شائع في لغة الكتاب العصريين
مع أن العرب لم تقل ذلك

وبيما الفن مادته : الفكر والنظر ، فإن العلم مادته العمل والاثـر . وقد يكون
للشيء الواحد علم وفن : فالموسيقى « علم » حين ندرس قضاياها العامة كتقسيم النغم ،
والموسيقى « فن » حين يتصرف المطرب في فنون النغم . والبلاغة « علم » حين تتحدث
عن أحكام الفعل والوصل والايجاز والاطناب وما الي ذلك . والبلاغة « فن » حين
يرسل الكاتب قلمه بالمقال البليغ

هذا و « الفن » اصطلاحاً لفظ مرن ، في معناه الاوسع ، هو كل شيء
ليس طبيعياً ، بل من صنع الانسان . وهو ، علي هذا ، يشمل المصنوعات والبلاغة
والقصة ، وكل ما هو نافع أو لذى وما يجمع بين المنفعة واللذة كالميكانيكيات
والآداب الرفيعة والهندسة المعمارية والحفر والنقش والزخرفة والرقص والموسيقى
والشعر والغناء . أما الفن في معناه الضيق ، فهو ما يصنعه أو ما يقوله الانسان
ثمرة للمواهب والكفاية المثلث من أجل المتعة النفسية في ذاتها أى من غير أن
يكون وسيلة الى شيء ينتفع به في الحياة العملية

وقد عرف الانسان البدائي ساكن الكهوف الفن قبل عصر التاريخ

فلم يقتصر جهد سكان الكهوف في عصر الحجر ، عند صنع الادوات والاسلحة من الحجر ورؤوس السكاكين والقوس من العظام بل كانوا ينقشون على أيديها العظمية أشكالاً حيوانية كالماموث ووحيد القرن والابل . ومن هنا نشأت فكرة محاكاة مافي الطبيعة بالنقش والحفر وما اليها استجابة للذة الفنية ولشدائنا للمتعة النفسية .

والفن ، على هذا ، كل عمل أو مهارة منظمة ترمي الي تتبع الكائنات النظامية والى أهداف تعرف مقدماً اتباعاً لقواعد كل عمل واستخداماً للمهارة ونتيجتها وعند « عبد المنعم أبو بكر » ان الفن كلمة يخص بها عادة أشياء مختلفة متباينة ، فالمثال قطعة فنية ، والنقش قطعة فنية ، والرسوم سواء ما كان منها بالزيت أو بالالوان الاخرى قطع فنية أيضاً ، ثم الموسيقى فن ، والشعر فن ، والنثر فن ، وكذلك التلحين فن ، والغناء فن . إذا فالفن هو كل ما يخرج منه لنا ذوق الانسان ليرضى به غريزة فيه لا يمكن أن نسميها إلا غريزة الفن ، إذا صح هذا التعبير . ونحن إذا أنعمنا النظر في غرائز الحيوان والانسان رأيناها متشابهة في الاصل . ذلك الاصل الذي يدفع بكل من الانسان والحيوان الي هدف واحد وهو البقاء ، والمحافظة على ذلك بالاكل والشرب ، ثم بالمدافعة عن النفس ، ولكن الطبيعة اختصت الانسان بغريزة أخرى هي « غريزة الجمال » أو قل غريزة الذوق السليم ، فالانسان الذي يصنع مثلاً ابريقاً من الطين أو الحجر كي يملأه ماء للشرب ، كان في بدء حياته الاولى (أقصد بذلك الانسان الاول) يصنع ابريقاً يصلح لاحتواء الماء ، أما شكل هذا الابريق الخارجى فيحتمه الغرض الذي من أجله صنع ثم الآلة التى صنع بها ، ولكن سرعان ما تظهر الغريزة الاخرى ، غريزة الذوق السليم ، فتراه قد طلى هذا الابريق بلون أحمر ، أو أحرقه في النار حتى يكتسب ملاسة لامعة ، أو رسم على سطحه الخارجى صوراً مختلفة لا علاقة بينها وبين ما يحويه الابريق .

وأول آثار الفن وصلت إلينا كانت من صنع الإنسان عصر الفيضان (الطوفان) الذى سكن قبل آلاف من السنين ، المناطق التى خلت من الثلوج ، ذلك الإنسان الذى سكن الكهوف فى جنوبى فرنسا وشمال أسبانيا ، وترك لنا آثاراً من الفن أحجم البعض عند أول وهلة أن ينسبه إليه ، ترك لنا رسوماً نقشها على صخور تلك الكهوف ، دلت على مهارة عجيبة فى الرسم ، وبعد ذلك انتهت حضارة ذلك الإنسان الأول فى أوروبا ، وظهرت حضارات مختلفة فى الشرق الأدنى وشمالى أفريقيا ، هذا وفى عصور فجر التاريخ الغابرة حلت بشمالى أفريقية عوامل طبيعية جعلتها منغورة بالثلوج بينما كانت أوروبا منطقة أمطار غزيرة ، وبعد حين انتقلت هذه العوامل الجوية إلى أوروبا فجعلتها منطقة بالثلوج ، بينما كان شمالى أفريقية منطقة أمطار غزيرة . وهذا هو السبب الذى من أجله اختفت حضارة الإنسان الأول فى أوروبا ، وظهرت حضاراته فى شمالى أفريقية والشرق الأدنى وكانت الآثار الأولى مشابهة الشبه كله لآثار ذلك الإنسان الأول الذى ظهر فى أوروبا ، ولكننا نجد بعد ذلك أن الشرق الأدنى تقدم فى حضارته تقدماً محسوساً ، حتى إذا ما حل العصر الحجري الحديث رأينا أن الفن فى الشرق الأدنى ، وخاصة فى مصر ، قد اتضح ناحية أخرى

والفن المصرى بدأ فى عصر فجر التاريخ يطبع بطابع يختلف مظهره عن فنون الأمم المجاورة ، وهذا الطابع المصرى الذى كونه البيئة المصرية ، وعمل على تقدمه وتتميمه العقل المصرى والفكر المصرى ، احتفظ بمظهره الخارجى طوال التاريخ المصرى ، أى ما يقرب من أربعة آلاف سنة ، ولكننا بعد الدرس والمقارنة سوف نجد أنه ليس من الصعب علينا أن نقسم هذا الفن إلى عصور مختلفة يمتاز كل منها منها بطابعه الخاص

اعتقد المصري القديم فى الحياة الثانية، واعتقد أيضاً أنه عند ما يحل الموت

تفارق قرينته (روحه) جسده ، علي أن تعود بعد ذلك الي هذا الجسد من حين
آخر ، كي تحيا معه حياة تشابه من كل ناحية الحياة التي اعتاد صاحبها أن يحياها
علي الارض ، ولكي تحيا هذه (القرينة) في المقبرة يجب أن تجد ما كانت
تأكله وتشربه وتتمتع به في حياتها الاولى ، وليس هذا كل ما يساعدها علي
الحياة في المقبرة ، بل يجب أن تجد جسدها في حالة جيدة لا تهدم فيه ولا انحلال
أما السبب في ذلك فهو أن الحضارة الحديثة والذوق الحديث والعقل الحديث
قد تكونت علي أسس الحضارة والذوق والعقل الاغريقي القديم . فنحن لا زلنا
نفكر ونرى الاشياء كما فكر ورأى الاشياء الاغريقي القديم
وعلي ذلك يتماثل تفهم الفن اليوناني بالسابقة ، فالتماثل يحتاج الي دراسة لفهم الفن
المصري ، وإذا تمكنا من فهم الفن المصري ، فإن اعجابنا به واستساغتنا له
واحترامنا لفنانيه سوف يعادل - إذا لم يفق - اعجابنا واستساغتنا للفن اليوناني
واحترامنا لفنانيه .

تمثال حامل الحرية

من الآثار اليونانية القديمة ، تمثال حامل الحرية الذي يمثل الجسم الانساني
الرياضي القوي الكامل عند اليونانيين . طول قوامه ١٧٥ سنتيمتراً ، وطول دائرة عنقه
٢٥ ر ٤٠ ودائرة صدره ٧٥ ر ١١٤ وخصره ٨٣ ر ٢٥ وكفله ٩٠ ر ٩٠ وفخذاه ١٥ ر ٥٦
ومخبطاه ٢٣ . أما وزنه فثلاثة وتسعة وسبعون رطلاً انجليزياً

فن التمثيل

من الفنون القديمة تمثيل الروايات . كان اليونان أول من مثل الحوادث وقاد
وقائعها ، وأول من فعل ذلك منهم صوازيون ودولون ، فقد مثلاً رواية في
اثينا في سنة ٥٦٢ قبل الميلاد ، وجري علي ذلك من جاء بعدهما من اليونان والرومان
وهذا ما يسمونه فن التمثيل القديم . وكان مقصوداً علي بعض الألعاب أو تمثيل

بعض الوقائع التاريخية أو شبهها المقتبسة من روايات هو ميروس وغيره. أما فن التمثيل الحديث ، فقد نشأ في أوائل التاريخ المسيحي ، وكان في أول عهده محصوراً في تمثيل الوقائع الدينية نقلاً عن التوراة والإنجيل أو ما يترتب عليهما . وأقدم رواية مثلت على هذا النحو رواية غريغوري نازيانز أحد رؤساء الكنيسة في سنة ٣٦٤ م مثل فيها « أسلام » المسيح . ومن هذا القبيل تمثيل واقعة الحسن والحسين في عاشوراء ، وتمثيل هذه الوقائع وقع عظيم في النفوس . ثم اتخذ التمثيل الحديث صبغات مختلفة لم يكن لها شأن يذكر . على أن هذا الفن لم يتخذ شكلاً قانونياً إلا في القرون الأخيرة وأول من فعل ذلك تريسينو الإيطالي ، فقد مثل رواية في رومية بحضور البابا ليون العاشر في سنة ١٥١٥ م سماها صونوفيسيا . وفي أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر ظهر شكسبير في إنجلترا وموليير في فرنسا ، فأحييا هذا الفن وجدا رونقه وألبساه حلة لا يزال خلفاؤها ينسجون علي منوالها إلى هذه الساعة

الأدب : الشعر والنثر

كان إنسان ما قبل التاريخ يتساق الاشجار وينتقل في الغابات بين الوحوش صائحاً : « را . را . را . بو . بو . بو » أو منادياً : « ها ، ها ، ها ، يا ، يا ، يا » . أي أن حديثه كان ألفاظاً قصيرة التركيب ومتكررة ، ذات نغم موسيقي ووزن شبيه بالاوزان الشعرية ، لأنه كان إما منادياً أو مستغيثاً أو متوجعاً ، أي معبراً عن شعور ما . كما كان يجتمع مع قومه في حلقات للرقص في حماسة للقتال المستمر . وهذا هو أساس الشعر لفظاً ومعنى ، إذ كان الشعر ، لفظاً ، هو الكلام الموزون المقفى ، ومعنى ، هو الأبانة عما يجيش في النفس من المعاني والخيال . ثم إن هذه النداءات والصيحات البدائية قد تطورت إلى الاوزان الشعرية التي تباينت تبعاً للازمان والاماكن والمهن واللغات

ومن أجل هذا كان الشعر ، عند بعض العلماء ، أول مراتب الادب . أما النثر فقد ظهر حين كثر السكان وتعددت أغراض الحياة وألفاظها ، واحتاج الإنسان إلى التوسع في البيان . على أن أسبقية الشعر للنثر ليست أمراً مقطوعاً به